النظم الإدارية في الهند في عصر دولة المماليك الأتراك (٦٠٢:٦٨٩هـ / ١٢٠٦:١٢٩٠م)

د/محمد سيد كامل محمد
أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم– جامعة المنيا

نشأت دولة سلاطين المماليك الأتراك في الهند في الفترة ما بين (٦٠٢:٦٨٩هـ / ١٢٠٦:١٢٩٠م)، حيث أسس السلطان "قطب الدين أيبك"([1]) دولته في حدود سنة ٦٠٢هـ :١٢٩٠م ، وتعاقب على حكمها أحد عشر سلطاناً من المماليك ([2])، وقد اعتمدت في نشأتها على العنصر التركي الرقيق المجلوب من التركستان ([3]). قام الأتراك كجنود بدور كبير في نشر الإسلام ، وأدى ذلك لتكوين إقليم أسلامي في شمال الهند ، كما شهد العالم الإسلامي في تاريخه حكاماً من الأتراك كانوا أرقاء اشتغلوا بالجندية وتدرجوا في سلكها حتى بلغوا مناصب كبيرة ،وكثيرا ما قام العبد التركي بانتزاع السلطة والنفوذ من سيده – خاصة بعد وفاته وصعود احد أبنائه الصغار إلى العرش – ومن ذلك "سبكتكين"([4]) الذي كان مملوكاً "لألبتكين"، وانفرد بالحكم وأسس الدولة الغزنوية([5])، وكان مؤسس دولة المماليك الأتراك السلطان "قطب الدين أيبك"مملوكاً من الأرقاء المجلوبين ، ثم بيع للسلطان "شهاب الدين الغوري"([6]) وقد تدرج "أيبك " في عدة وظائف حتى رفعه سيده السلطان إلى قيادة فرع من الجيش الغوري ، وأنابه في حكم منطقة "لاهور "بالهند .

([1]) قطب الدين أيبك : أول سلاطين الدولة المملوكية في الهند،اشتراه قاضى نيسابور فخر الدين عبد العزيز وأدبه وأحسن تأديبه، وعلمه علوم الدين وأساليب الفروسية ، ثم بيع لأحد تجار الرقيق الذي نقله إلى غزنة، فاشتراه السلطان شهاب الدين الغوري: فلمس فيه الذكاء والشجاعة فعهد إليه بالعمل في الجيش كجندي، وعندما انكسر أصبعه الخنصر قالوا له:"أيبك" (الهروى:طبقات أكبرى،ج١،ترجمة أحمد الشاذلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م،ص٥٥).

([2]) انظر ملحق رقم(١) بأسماء سلاطين المماليك في الهند.

([3])تركستان : اسم جامع لجميع بلاد الترك ،وأوسع بلاد الترك بلاد التغزغز،وحدهم الصين والتبت،وأول حدهم من جهة المسلمين فاراب(ياقوت الحموي:معجم البلدان ،ج٢، دار صادر بيروت، لبنان ، سنة ١٤٠٤م/١٩٨٤م،ص٢٣)

([4])سبكتكين هو مولى ومملوك للقائد ألبتكين الذي أسس مملكة غزنة، بيع سبكتكين كعبد تركي للأمير أحمد بن إسماعيل الساماني، وتدرج في حرسه الخاص، واكتسب نفوذاً كبيراً في عهد الأمير عبد الملك بن نوح الساماني(لقزويني:تاريخ كزيده، ترجمة محمود محروس قشطه ضمن رسالة الماجستير كليه آداب عين شمس سنة ١٩٦٨م، ص١٩؛

([5])خليل الله خليلي : سلطنت غزنويان ، طبعة كابل١٣٣٣ هـ.ش ، ص٣) عندما توفى ألبتكين عقب فراره من الأمير منصور الساماني نصب سبكتكين أميراً على غزنة وذلك في سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م.(Nazim:Ibid,P.25) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي :تاريخ الهند في العصر الأسلامي ، دار الفكر العربي ، سنة ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م،ص٥٩

([6]) الغور : عنصر من العناصر التركية التي سكنت من قبل الجبال الممتدة بين أفغانستان إلى جنوب شرق هرات بخراسان، ووسعوا دولتهم على حساب الدولة الغزنوية ، وكانت عاصمتهم مدينة فيروزكوه (بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ترجمة من اللغة الروسية صلاح الدين عثمان ، طبعة الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٤٨٩ ؛

Oxford :history of India ,p.232,(oxford,1958).

قيام الدولة المملوكية في الهند :

رُفِع "أيبك" إلى منصب نائب السلطان الغوري(١) في بلاد الهند ، وذلك عقب انتصاره في معركة "نزاين" سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م (٢) فقام بفتح عدة أماكن من الهند مثل إمارة "قنوج"(٣) ومدينة "جوليار"(٤) كما ضم مدينة "أجمير"، وتقدم إلى "ميرات"وفتح قلعة "كوك"، وبذلك وسع "أيبك" ممتلكات الغوريين في بلاد الهند وبسط نفوذهم في العديد من المناطق ، وضم منطقتي "البنجاب"(٥) و "الدواب"Doab الواقعة على نهر "جمنا" Jumna، وأخذ يواصل غاراته حتى وصل إلى "الكجرات"(٦).

ولابد أن نشير هنا إلى أن "قطب الدين أيبك" عمل على نقل العاصمة الغورية في الهند من "لاهور" إلى "دهلي"(٧) وذلك لأن "لاهور" لا تضم إلا ملك "البنجاب"، بينما "دهلي" تضم جميع سهول "الدكن" الأمر الذي مهد للمماليك فيما بعد حكم الهند بأسرها وذلك سنة ٥٨٩هـ /١١٩٨م(١).

وعندما اغتيل "شهاب الدين الغوري" في سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٢م قسمت ممتلكاته بين قادته، وغدا كل عامل أميراً فصار "أيبك" حاكماً على ممتلكات الهند مقام سيده (٨)"بدهلي" ، وتقدم "ناصر الدين قباجة" على "الملتان"(١) "وأجه"

اغتيل السلطان شهاب الدين الغوري على يد بعض أشخاص من قبيلة الكوكد ، في شعبان سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م، وقيل أنه قتل على يد أحد فداوى الإسماعيلية (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢، طبعة دار صادر بيروت سنة ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م ، ص٢١٠ ، الجويني :تاريخ جهانكشاي ،ج١،ترجمة محمد التونجى ، طبعة دار الملاح للطباعة والنشر سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ،ص٣٠٢، الجوزجاني : طبقات ناصري ج١ ، به تصحيح ومقابله وتحشيه وتعليق عبد الحي حبيبي قندهاى كابل سنة ١٣٤٣ هـ.ش، ص٤٠٣، بارتولد : تركستان، ص٥٠٦ ،عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، ومراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة والنشر والتوزيع بالقاهرة ،ص٢٢٢).

(١)اعتنق الغوريون الإسلام على يد السلطان محمود الغزنوى سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، فصار حكامهم مسلمين ونبذوا الوثنية(العتبي : تاريخ اليميني ،ج٢: طبعة القاهرة سنة ١٣٨٦هـ،ص١٢٢)، لقب شهاب الدين بلقب معز الدين وزحف إلى الهند واستولى على عدة مناطق بها ، وتقابل مع مملوكه أيبك في موضع بين جهليم وسودرة ، فأوقعا الهزيمة بواليها(رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد٢ ،ص٤٣١، بسعي واهتمام أحمد أتش، طبعة أنقرة سنة ١٩٦٠م،ص٤٣١،عباس إقبال: تاريخ إيران ،ص٢٢٢).

(٢) فرشته : تاريخ فرشته، المجلد الأول ، طبعة بومباي سنة ١٨٣١م،ص١٠٢

(٣) الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ،ج١، مطبعة الجماهير القاهرة (د.ت)، ص١٠٤، تقع ولاية قنوج في وسط البحور والجبال التي تقع في أرض السند غرباً (البناكتي: روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المعروفة بتاريخ البناكتي ، طبعة المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولي ، القاهرة سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م،ص٣٤٨)

(٤) OXFORD :History of India ,p.235

(٥)عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ،ص٢١٩، إقليم البنجاب: كلمة فارسية مكونة من مقطعين ، بنج بمعنى خمسة وأب بمعنى نهر أي الخمسة أنهار ، ويقصد بها فروع نهر السند ، وهى شلبخ- جيناب- بياس- جهلم- راوي(جوستاف لوبون: حضارات الهند ، ترجمة زعيتر، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٤٩م، ص١٤٣)

(٦)بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة حسين على اللبودي ، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية ، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٥م،ص٢٥٨، OXFORD : History of India ,p.235

الكجرات : تقع إلى الغرب من حيدر أباد أمام شبه جزيرة العرب ، وهى الآن من ولاية بومباي (الحسنى: الهند في العصر الإسلامي المعروف بجنة المشرق ومطلع النور المشرق ، طبعة حيدر أباد الدكن، سنة ١٩٧٢م،ص٧١، وقد أشار البناكتي إلى أن بلاد الكجرات بلاد عظيمة الاتساع ومنها تصل إلى سومنات وكنكن وتانه، ومجموع بلاد الكجرات سبعون ألف مدينة وقرية كلها معمورة وأهلها في نعمة وغني(تاريخ البناكتي، ص٣٤٩)

(٧) الجوزجاني : طبقات ناصري ، جلد أول ،ص٤٠١.

Husan Qureshi : The Administration of the sultanate of Delhi,p.178(Delhi,1994)

دهلى : تعتبر دهلى من المدن المهمة في بلاد الهند ، فهي ذات أرض واسعة تقع شمال الهند ، قليلة الارتفاع عن مستوى سطح الأرض (المباركبورى : العرب والهند في عصر الرسالة ، طبعة الهيئة المصرية ، سنة ١٩٧٣م،ص٣٢) تبلغ دهلي من حيث الطول ١٢٨ درجة و٥٠ دقيقة ، والعرض ٢٥ درجة و٥٠ دقيقة .

وأصبحت "غزنة" من نصيب "تاج الدين يلدز" بعد أن استولى عليها من "غياث الدين محمود الغوري"([٤]) غير أن أيبك لم يترك هذا الأخير وشأنه وبتأثير ولائه لسيده قاد جيشاً استولى به على "غزنة" لمدة أربعين يوماً مما أجبر "يلدز"على الفرار إلى حدود "كرمان"، ولكنه ما لبث أن عاد إليها واستولي عليها من جديد نتيجة لمساندة أهلها له ([٥]).

والملاحظة الجديرة بالإشارة أن "أيبك" بقى على ولائه للدولة الغورية في عهد "غياث الدين محمود"، وصار يدبر مملكته بالهند ويقيم الخطبة بها باسمه ، وبذلك ضبط الأمور في الهند وضرب بيد من حديد على المفسدين([٦]) وبذلك قامت الدولة المملوكية التي تعاقب على حكمها أحد عشر سلطانا واستغرق حكمهم ثلاثة وثمانين عاماً، انتهت بسقوط هذه الدولة في سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م([٧]).

أولاً نظام الحكم في دولة المماليك:-

كان الحكم في سلطنة الهند مطلقاً ، فالسلطان مصدر لكل السلطات في البلاد ، فهو القائد الأعلى للجيش ، والمحرك الإداري، وحامى حمى الدين، وكان أن قام نظام الحكم في بعض الأحيان على مبدأ وراثة العرش بين أبناء السلاطين ، رغم كون المماليك في طبيعة أمرهم لا يعتنقون مبدأ الوراثة في الحكم ، نظراً لنشأتهم العسكرية وسيطرة مبدأ الحكم للأقوى والأكثر أتباعاً، وبرغم مجهودات "قطب الدين أيبك" في إقرار الأمن في كافة البلاد ، وحرصه على نشر- العدل بين الرعية مع حسن معاملته للهنادكة ،وبنائه مسجدين كبيرين بالهند ، إحداهما في "دهلى" والآخر في "أجمير"([٢]) وإغداقه الكثير من الأموال على عبيده ومماليكه فإنه عند وفاته في سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م ([٣]) لم يوفر لابنه "آرامشاه"الاستقرار في الحكم ،إلى حد جعله لم يستمر طويلاً على سدته في وقت كان فيه صغيراً وضعيفاً في حمل أعباء

(A.K. Jain : The City of Delhi, p.29(New Delhi,1994)

([٨])الدكن : هي منطقة واسعة من جنوب الهند على هيئة مثلث قاعدته اعلي ورأسه من أسفل ، يستوطنه العديد من الإمارات المتفرقة (جوستاف لوبون : حضارات الهند، ص٧٣)

([١])الجويني : تاريخ جهانكشاى ،ج١،ص٣٠٣، الهمذاني : جامع التواريخ،ج٢،ص٤٣٣:٤٣٤

([٣])وفي أثناء حكم قباجة للسند والملتان اهتم بالعلم والأدب الفارسي ، وقام ببناء مدرسة لتعليم الأدب والشعر ، درس فيها كل من المؤرخين الفارسيين محمد عوفى وجوزجانى منهاج السراج.

(AZIZ Ahmed :An intellectual History of Islam In India ,p.p.72 :73 , (Edimpurgh, U .S .A ,1969).)

الملتانMALTAN ولاية بشمال غرب الهندوستان بالقرب من غزنة ، أهلها مسلمون منذ الفتح العربي لتلك المناطق ، وهى معروفة الآن بباكستان (الحسني : الهند في العصر ، ص١٠).

([٤])الجوزجاني : طبقات ناصري ، جلد أول ،ص٤٠٦:٤٠٧.

([٥])خواندمير : حبيب السير في أخبار أفراد البشر ،ج٤م٢ ، طبعة طهران سنة ١٣٣٣هـ.ش،ص٦١٠:٦١١ ، كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان ، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي تشبه البصرة في كثرة التمور وجودتها (ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج٤،ص٤٥٤)

([٦]) فرشته : تاريخ فرشته ،ج١،ص١١١، عصام عبد الرؤوف : تاريخ الهند ،ص٦١.

([٧]) الجوزجاني : طبقات ناصري ، جلد أول ،ص٤١٧، OXFORD :History of India ,p.237

([٢])الساداتى : تاريخ المسلمين ،ج١،ص١١٠

Husan Qureshi: The Administration of the Sultanate of Delhi,p.178

([٣]) خواندمير :حبيب السير ، جلد جهارم م٢،ص٦١٢

الحكم ،مما دفع الأهالي لاستدعاء حاكم مدينة "بدوان" المسمى "ألتمش" (١) ، وقد أشار البناكتي (٢) إلى أن الأمير"على إسماعيل" إسماعيل إسبهسلار "دهلى" هو الذي قام بهذا الاستدعاء ،لكي يتولى أمور الحكم دون "آرامشاه".وبالرغم من انقسام الجيش الهندى بين "آرامشاه" و "ألتمش" ودخولهما في صراع حربي ،إلا أن الحرب حسمت لصالح "ألتمش" وصارت المملكة تحت نفوذه وسلطانه (٣)

عمل "شمس الدين ألتمش" من أجل استقرار الأمور في الهند، حتى اعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي لدولة المماليك في الهند ، فقد ضم "السند"، وأرغم والى "البنغال" على الاعتراف بسيادته على "دهلي" وألزم الخوارزميين حدودهم،فلم يجرؤ على عبور أراضيه (٤) ،وقد كسب "ألتمش" خبرة كبيرة في الفترة السابقة على سلطنته من خلال توليه "كواليار" ومقاطعة "بريد" ثم توليته حكم ولاية "بدوان" (٥) وبذلك تهيأت له الظروف السياسية ، هذا إلى جانب أنه كان عادلاً رحيماً بالرعية، فمن مآثره أنه اشتد في رد المظالم وإنصاف المظلومين، واستمر في الحكم حتى وفاته سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٦٦م ..(٦)

ولدراسة مدى ثبات أو تذبذب قاعدة توريث العرش في عهد المماليك فيكفي إلقاء الضوء على الفترة التالية لوفاة السلطان "شمس الدين ألتمش" ، وهى الفترة التى تولى خمسة من أبنائه لسدة الحكم وهم "ركن الدين فيروزشاه" ، والسلطانة " رضية" ، والسلطان " معز الدين بهرامشاه" ، وحفيده السلطان " علاء الدين مسعود" ، وآخرهم السلطان "ناصر الدين محمود"(٧).

لقد تولى "ركن الدين فيروزشاه" في أثناء حكم والده "ألتمش" حكم ولاية "بدوان" في سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م، ثم أضيف له حكم ولاية "لاهور"(٨) وذلك لكي يؤهله والده لإدارة البلاد من بعده، إلا أنه بالرغم من ذلك لم يصف له الأمر مباشرة ، فخرج عليه حاكم "أجه" وغيره من الأمراء، خاصة أن والدته السيدة"شاه تركان" قد تدخلت في أمور البلاد مما

---

(١) ألتمش : هو السلطان شمس الدين ألتمش أحد الأرقاء العبيد الذى جلب من التركستان وبيع إلى قطب الدين أيبك ، فرفع من قدره وعينه على حكم مدينة بدوان ، وزوجه من إحدى بناته الثلاثة ، وقد قيل عن والد ألتمش أنه كان أحد حكام بلاد التركستان ، وقد امتاز ألتمش بحسن الصوت والفطنة والذكاء (الجوزجانى : طبقات ناصرى، ج١ ، ص٤٤١) ولما تربع ألتمش على العرش ، أتاه الفقهاء وقاضى القضاة وطلبوا منه أن يثبت حريته من العبودية ، فأخرج لهم عقداً يضمن عتقه، فقرأه والقاضى والفقهاء وبايعوه جميعاً (ابن بطوطة : الرحلة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار ، شرح طلال حرب، طبعة دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م ، ص٢٨٠ عصام الدين عبدالرؤوف الفقهى : تاريخ الهند، ص ١٩٧)؛ قام ألتمش ببناء مسجد في أجمير ، وأقام مقبرة بجوار مسجد دهلى ، وهى مثال واضح على الفن الفارسى(OX FORD : History of India , p. 238

(٢)تاريخ البناكتى، ص٣٣٤.

(٣) خواندمير : حبيب السير ، ج٤ م٢ ، ص١١٨ ؛ مدينة بدوان : بفتح الباء وضم الياء وسكون الواو ، وهى بلدة كبيرة فتحها قطب الدين أيبك يفصل بينها وبين دهلي قرابة العشرين يوماً (الحسني : الهند في العصر الإسلامى ، ص١١٥) ؛

(٤) بوزورث : الأسرات الحاكمة ، ص٢٩٥ ؛ لقد دار الصراع بين السلطان جلال الدين منكرتي وجنكيز خان المغولى في داخل بلاد الهند، ففر جلال الدين عبر السند، ومن ثم طالب السلطان ألتمش بموضع في دهلي للإقامة فيه، فكان رده قاطعا بأن هواء دهلي لا يصلح للإقامة الخوارزمين ، ثم عزز بإرسال قوة عسكرية على رأسها ناصر الدين قباجة ، فأنزل بجلال الدين الهزيمة (النسوى : سيرة سلطان جلال الدين منكبرتى ، ترجمة حافظ حمدى دار الفكر العربي ، سنة ١٣٧٤ هـ /١٩٥٣م ، ص١٦٥)

(٥) الجوزجانى : طبقات ناصرى، ج١ ، ص٤٤٣ ؛كواليار تقع جنوب مدينة كرة وهى تحمل حتى الآن هذا الاسم ، بينها وبين مدينة داهوليبو مسيرة ثلاثة وعشرين يوماً (الكرديزى : زين الأخبار ، ترجمة عفاف السيد زيدان ، طبعة القاهرة سنة١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م،

(٦)ابن بطوطة، الرحلة، ص٢٨١.

(٧)خواندمير، حبيب السير، ج٤ م٢، ص٦١٨.

(٨)الجوزجانى : طبقات ناصرى، ج١ ، ص٤٥٤ ؛ فرشته، تاريخ فرشته،ج١، ص١١٧؛ الهروى : طبقات أكبرى، ج١، ص٧١

أدى إلى خروج أخته السيدة"رضية" عليه، وانضم الجيش المملوكى إلى جانبها([1])، وهنا قبض الجيش على " ركن الدين فيروزشاه" وعلى والدته ووضعهما في السجن، حيث توفى في سنة٦٣٤هـ/١٢٣٦م، بعد حكم دام قرابة العام وستة أشهر وثمانى وعشرين يوماً([2]).

وبالرغم من أن السلطان " ركن الدين فيروزشاه" هو صاحب الحق الشرعي في الحكم فإن الجيش المملوكى انحاز إلى جانب أخته السيدة "رضية" ضده ، ولم يساند مبدأ الوراثة في الحكم، وهو الشيء المعروف والمؤكد في الجيوش ، وربما يرجع ذلك لنظرة الجيش له على أنه حاكم غير مؤهل لإدارة البلاد ، وأن أخته السيدة " رضية أكفأ لهذا الأمر . وفى حقيقة الأمر فإن سلطنة "دهلي" استقرت بها الأوضاع الإدارية في بداية حكم السلطانة " رضية"،التى أحكمت سيطرتها على مقاليد الأمور ، وخلعت ملابس النساء وتشبهت في ملبسها بالرجال، فقادت الجيوش وركبت الفيلة في الحروب([3])، وبذلك تصبح " رضية " أول حاكمة في العالم الإسلامي تنفرد بالسلطة والنفوذ منفردة في سنة٦٣٤هـ/١٢٣٦م ([4])، قبل انفراد " شجر الدر ([5])"لمدة ثمانين يوماً بحكم مصر في العصر المملوكي- ما بين ٣ صفر : ربيع الثاني ٦٤٨هـ/ ٧مايو : يوليو ١٢٥٠م، كذلك قبل أن تصير السلطانة "آبش خاتون" حاكمة على أتابكية "السلغوريين " في فارس، التي انفردت بالحكم فترة طويلة تقدر بحوالي عشرين عاماً، وضربت العملة باسمها، ووضعت التاج على رأسها في حدود سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٥م([6])

ولابد من الإشارة إلى شخصية السلطانة "رضية " وشجاعتها وإقدامها ، وما وضعه فيها والدها " ألتمش " من حب الإدارة والسياسة إلا أن أنوثتها غلبتها فمالت لعشق أحد العبيد ويدعى " جمال الدين ياقوت الحبشي-"، مما أثار عليها حاكم "تبرهند" " إيتار الدين التوانيا" الذي أعلن العصيان عليها. فزحفت عليه، وخرجت على رأس جيشها لمحاربته([7]). ، إلا أن أخاها "بهرامشاه " قبض على أمور البلاد في "دهلي" وعزلها عن العرش في ربيع الآخر سنة ٦٣٧هـ / ١٢٤٠م،

([1]) الساداتى : تاريخ المسلمين، ج١ ، ص١١٦ ؛ يشير ابن بطوطة إلى أن سبب الخلاف بين ركن الدين ورضيه أنه عند توليه الحكم أمر بنقل أخيها معز الدين ونفيه من البلاد، أنكرت رضيه ذلك، وألبت عليه الرعية والأمراء حتى ثاروا ضده وقتلوه سنة٦٣٤هـ/١٢٣٧م (الرحلة، ص٢٨١).

([2])الجوزجانى : طبقات ناصرى، ج١ ، ص٤٥٦ ؛ (OX FORD : History of India, p .240)

([3])خواندمير : حبيب السير، ج٤م٢، ص٦١٩ ؛ ستالين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، طبعة الدار العلمية بيروت ، سنة١٩٨٦م ، ص٥٩٩.

([4])خواندمير : حبيب السير، ج٤م٢، ص٦١٩ ؛ ستالين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، طبعة الدار العلمية بيروت ، سنة١٩٨٦م ، ص٥٩٩.

([5])شجرة الدر : جارية السلطان الملك نجم الدين أيوب، وقيل إنها تركية الأصل أو أرمينية استولدها ابنها خليل، الذى مات صغيراً، فصارت أم ولد واعتقها، فارتفع شأنها في عهده، لشدة ذكائها وفطنتها(المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك،ج١ ، إعداد محمد عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ، سنة ١٤١٨ هـ /١٩٩٧ م ، ص٤٥٩) تولت عقب وفاة الصالح الحكم ونقشت اسمها على السكة، ومن ألقابها الملكة المستعصمية — نسبة إلى الخليفة المستعصم العباسي- والصالحية- نسبة للصالح نجم الدين- وملكة المسلمين والدة المنصور خليل (العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، طبعة الهيئة المصرية سنة ١٤٠٧هـ /١٩٨٧ م ،ص٣٤).

([6])زركوب الشيرازى : شيرازنامه ، ص٨٩، به كوشش اسماعيل واعظ جوادى، انتشارات بنياد فرهنك إيران سنة ١٢٣٠هـ . ش ، ص٨٩ ؛ القيزوينى : تاريخ كزيده ، ص٢٢٩ ؛ ببش خاتون : حكمت بلاد فارس واتخذت من كرمان عاصمة لدولتها، ذلك بعد قتلها لابن عم والدها، انتقاماً لوالدتها تركان خاتون، وهى ابنة سعد الدين بن زنكي بن مودود، هذه السيدة اعترفت بحكم المغول الإيلخانيين، ودخلت تحت طاعتهم، وهى الحاكمة رقم إحدى عشر من حكام أتابكية السلغوريين في فارس (زركوب الشيرازي : نفس المصدر السابق والصفحة.

([7])فرشته : تاريخ فرشته، ج١ ،ص١١٩ ؛ OX FORD :History of Indiaz, p .240

وبذلك انتهت فترة حكم "رضية " وصعد للسلطة "بهرامشاه بن ألتمش " وتلقب بلقب "معز الدولة ، غير أنه سلك سياسة غاشمة تجاه أمرائه ، فثاروا ضده وقتلوه في ذى القعدة سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤٢ م[١]

ومن الغريب في الأمر فإن الحكم في "دهلي " لم ينتقل إلى ابن آخر " لألتمش " بل انتقل بمعرفة الأمراء إلى أحد أبناء السلطان "ركن الدين فيروزشاه " ، حيث كان محبوساً في أحد السجون وهو "علاء الدين مسعود "، الذي قام بضبط أمور الدولة وعين الأمراء على ولايتي "السند " و "أجمير " وغيرها[٢] ، محاولاً العمل على استقرار الأوضاع ، لكنه انشغل بصد الهجمات العسكرية التي شنها المغول على شمال الهند، بعد أن توغلوا في مدينة " لكهنوتي " وهاجموا "أجه " إلا إنه مال إلى الدعة وأظهر كثيراً من الظلم والجور للرعية والأمراء والأتراك، فترتب على ذلك قتله سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦ م[٣]

يعتبر السلطان "ناصر الدين محمود " آخر أفراد أسرة "شمس الدين ألتمش "، الذي تولى العرش سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦ م، والذي حكم البلاد فترة تتجاوز العشرين عاماً، قضاها في حروب طويلة ضد حكام الولايات التي حاولت الانفصال عن " دهلي"، وتصدى لثورات الهنود، وتوجه إلى "قنوج " وحارب الهنود في قلعة "نزور "([٤]).. اعتمد السلطان "ناصر الدين محمود " في تسيير شئون حكمه علي وزيره " ألغ خان بلبن "، الذي اضطلع بالأمر في مقدرة وكفاءة تامة، حتى وافى السلطان أجله، فانفرد بالحكم بمفرده، ومن هنا نرى أن وراثة العرش لم تستمر في أسرة " ألتمش " إنما انتقل الحكم لوزير البلاد "بلبن([٥]).

ومن المسلم به أن السلطة في الهند لم تتحقق لها وحدتها إلا بعد أن آل الأمر إلى "غياث الدين بلبن "، خاصة بعد فترة ساد فيها سلاطين ضعاف، وانقسمت البلاد في أيامهم داخلياً وزاد التمزق بين أمرائها، وبذلك أثبت "بلبن " أنه من أعظم سلاطين الدولة المملوكية، وأنه رجل دولة من الطراز الأول بما تمتع به من خبرة إدارية مميزة، وقام بمحاكمات عسكرية في "دهلى" لمعاقبة قواده والمعارضين له، ووزع الولايات على أولاده وأسند إليهم مهمة حكمها، وبذلك ضمن الاستقرار في الدولة ([٦]). كذلك صحح ما فسد من النظام الإداري بعد " ألتمش " بسبب وضعه السلطة المركزية بأيدى جماعة الأربعين، التي سيطرت على كل مقاليد الدولة وشئونها الإدارية، ولم ير "بلبن " إزاء طغيان هذه الجماعة سوى

([١])بدوانى : منتخب التواريخ، ج١ ، بتصحيح مولى أحمد على صاحب ، طبعة كلكتا سنة ١٨٩٨ م ، ص٨٦.

([٢])خواندمير ، حبيب السير، ج٤م٢، ص٦٢٢

([٣])بدوانى : منتخب التواريخ، ج١ ، ص٨٨ ؛ طبقات أكبرى ، ج١ ، ص٦٩ .

([٤])ابن بطوطة : الرحلة ، ص٢٨٢ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج٤، م٢ ،ص٦٢٤ ؛ زامباور : معجم الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة زكى محمد حسن وحسن أحمد إبراهيم وآخرين، طبعة دار الرائد العربي بيروت–لبنان ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م، ص٤٢٢.

([٥]) بلبن : ينتسب إلى قبيلة الباري التركية التي كان منها ألتمش نفسه، ولكن حدث أن وقع بلبن في المغول فأسر وبيع إلى أحد التجار الذي قدم به غلى دهلي فأشتراه السلطان ألتمتش وقد تدرج بلبن في المناصب حتى وصل إلى ثم السلطنة المملوكية (السادانى : تاريخ المسلمين ، ج١، ص١١٨) ؛ أضفى السلطان بلبن علي بلاط بعض التقاليد الراقية الرفيعة المستوي، فألزم حاشيته ورجال دولته بمراسيم معينة في لباسهم وفي سلوكهم ومناصبهم على السواء، والتزم بالتمسك الشديد بآداب الإسلام، وأنشأ أولاده عليها، واشتهر برعايته للعلم والعلماء ، انضم بلبن إلى جماعة الأربعين التي أسسها ألتمش ، الذين عملوا على إرساء دعائم السلطنة على أساس عسكري وإداري حازم (بوزورث : الأسرات الحاكمة ، ص٢٥٩) ؛ استطاع بلبن بعد اعتلائه العرش أن ينفرد بالسلطة في البلاد بدونهم .
Husan Qureshi : The Administration of the sultanate of Delhi , p .45

([٦])ابن بطوطة : الرحلة، ص٢٨٢ ؛ فرشته: تاريخ فرشته، ج١ ، ص١٣٦ ؛

Cambridge : History of India , p . 86 ,V111 Turks and Afghans , (New Delhi, 1958)

التنكيل بها وبقتل كل من له علاقة بها ، حتى قضى عليها ، ولم يهتم بما أريق من دماء في سبيل القضاء على هذه الجماعة حتى تستقر الأوضاع الإدارية في البلاد(١).

تولى السلطان "كيقباد " العرش وهو لم يبلغ الثماني عشرة عاماً، ويعتبر آخر سلاطين المماليك في "دهلى " من الناحية الفعلية، وكان أن أهمل هذا السلطان شئون البلاد الداخلية والخارجية وشغله الهوى واللهو وترك لوزيره " نظام الملك" فرصة ليستبد بالسلطة حتى سار سيرة سيئة بين الرعية فازداد التدهور في البلاد(٢)، وعقب وفاته تولى ابنه "شمس الدين الدين كيخسرو " وهو طفل صغير السلطنة في دهلي الأمر الذي حال دون استمرار المماليك فى حكم البلاد وهكذا طمع فيها الأمراء الخلج بقيادة " جلال الدين فيروزشاه " ، واستولوا عليها في ٦٨٩هـ / ١٢٩٠ م(٣).

والخلاصة فإن نظام الحكم كان أميل إلى الحكم الوراثي، مع الأخذ في الاعتبار أن الأمراء والقادة كان لهم حق حرية اختيار من يرونه صالحاً للحكم، بمعنى أنه لم يكن في تلك الفترة قاعدة محددة تنظم اعتلاء عرش الحكم.

٢- الألقاب الفخرية التي تلقب بها سلاطين المماليك :

انتهج سلاطين المماليك نفس النهج الذي سار عليه من قبلهم حكام الغزنويين والغوريين بالاهتمام بحمل الألقاب الفخرية، التي تمثل أهمية كبرى لديهم، فقد كانت هذه الألقاب أبعد شهرة وأقوى مكانة ومنزلة وأعظم تفاخرا في هذه المناطق ، حيث اتخذ المماليك لقب سلطان، ويعتبر " قطب الدين أيبك " أول من تلقب بهذا اللقب، حيث أطلقه عليه السلطان "شهاب الدين الغوري "- في اثناء نيابته على الهند، واستمر تداول حمل هذا اللقب لكافة حكام المماليك في دولتهم (٤).

ويعتبر السلطان "محمود الغزنوى " أول من تلقب من حكام الأقاليم الشرقية بلقب السلطان، ومن ثم تداوله الشعراء والرعية، وأصبح موضع اهتمام لهم في مدائحهم " لمحمود " (٥) . ولابد أن نشير إلى أنه كان هناك نظم متبعة في الخلافة العباسية لمنح هذه الألقاب سواء لكبار رجال الدولة من الوزراء وقادة الجيوش أم لحكام الولايات المستقلة وشبه المستقلة، ويعتبر السلطان "شمس الدين ألتمش " أول سلاطين "دهلى" الذين منحوا لقباً من قبل الخليفة "المستنصر بالله العباسي "، فقد لقبه بـ " ناصر أمير المؤمنين "(٦).

لقد جرت العادة على ان تسجل الألقاب الممنوحة للولاة في ديوان الرسائل ببغداد، ويحتفظ بنسخة من الخطاب في دواوين الولايات المختلفة(٧)، هذا فضلاً عن أن التلقيب أصبح له رسوم خاصة به، من أهمها ما عرف باسم كتاب

(١) OX Ford : History of India, p . 241 .Husan Qureshi : The Administration of the sultanate of Delhi,p.5

(٢)بدواني : منتخب التواريخ ، ج١ ، ص١٣٧

(٣)الخلج : تعددت آراء المؤرخين حول أصل الخلج ، فمنهم من يشير إلى أنهم عناصر من الترك الذي يميلون للترحال والتنقل ، وقد سكنوا بمنطقة عرفت بياغو خلج (الكريزى : زين الأخبار ، ص ٤٣٤) : والبعض الآخر يشير إلى أنهم من الأفغان ، وأنهم ينسبون إلى قليج خان أحد أصهار جنكيز خان ، وقد ظهر أفراد الخلجيين منذ الدولة الغزنوية ، حيث شكلوا فيما بعد ركناً أساسياً في الجيش الهند في العصر المملوكى حتى وصل القائد جلال الدين فيروزشاه إلى منصب عارض الجيش في عهد السلطان معز الدين (بدواني : نفس المصدر السابق والجزء ، ص١٤٢ ؛ Cambridge : History of India , p .87.

(٤) الجوزجاني : طبقات ناصري، ج١، ص٤١٧

(٥) عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام، ص١٧٤

(٦) الساداتي : تاريخ المسلمين ، ج١ ،ص١١٤

(٧)هلال بن الصابي : رسوم دار الخلافة ، عنى بتحقيقه ميخائيل عواد، مطبعة العاني ببغداد سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م ،ص١٠٤

التنويه، ولكن في نهاية الخلافة العباسية في بغداد بدأ المؤرخون يستنكرون من كثرة ما أطلق من كثرة ما أطلق من ألقاب حتى زادت عن حدودها وتجاوزت ما كان متبعاً منها في القديم ، وصارت تطلق بدون حساب (١)

استعمل سلاطين المماليك ألقاباً مضافة إلى الدين ، مما يعطى صاحبها خليطاً ممزوجاً من الحكم والدين ، فتسود السيطرة على شعوبهم بذلك (٢)، والملاحظ في ألقابهم اتخاذ كل واحد منهم لقباً دون تكرار إلا في حدود قليلة ، فقد لقب "أيبك بقطب الدين"(٣) أما لقب السلطان "ألتمش" فهو "شمس الدين"(٤)، ولقبت السيدة "رضية" في حياة أبيها بلقبين"رضية الدين" و "مقبولة الدين"، وعرفت في التاريخ بلقب "جلالة الدين"(٥) وتلقب أحد أولاد "ألتمش" وهو "فيروزشاه" بقلب"ركن الدين"، وكذلك تلقب السلطان "بلبن" بلقب "غياث الدين" ، واستخدم "كيقباد" لقب"معز الدين"(٦).

لقد تكرر لقب "معز الدين" في سلطنة المماليك مرتين، فقد تلقب به "بهرام شاه بن ألتمش" الذى حكم سنة ٦٣٧هـ /١٢٣٩م، و"كيقباد بن بلبن"، وكذلك تكرر لقب "شمس الدين" فأطلق على السلطان "ألتمش"، وأطلق أيضاً على آخر سلاطين الهند السلطان "شمس الدين كيخسرو بن معز الدين كيقباد"(٧).

٣- علاقة المماليك في الهند الدينية بالخلافة العباسية :

تعتبر الخلافة العباسية الوريث الشرعي لجميع البلدان الإسلامية ، ومن ضمنها سلطنة المماليك في الهند ، حيث كان الخليفة هو صاحب الحق الشرعى في الحكم ، ويدعى له في خطبة الجمعة وفى الأعياد الإسلامية والمناسبات الدينية ، كما كانت العملة تسك باسمه ، ولابد أن نشير إلى أن سلاطين "دهلى" كانوا يعتبرون أنفسهم مستقلين تماماً عن الخلافة في بغداد فنجد أن السلطان "ألتمش" احتفظ بسلطته على جميع المناطق الواقعة شمال جبال "ويندهيا" Vindhya بعد أن صدق الخليفة في "بغداد" على ذلك بإصدار منشور أرسله بتعيينه مع البنود والرايات اعترافاً منه بحق "ألتمش" في الحكم والسيادة (٨).

وعلى ذلك فاعتراف الخليفة العباسي بحكم السلطان "ألتمش" يمثل صبغة شرعية تمكنه من فرض السيادة على البلاد في الهند ، هذا وقد كان سلاطين المماليك يدينون بالإسلام على المذهب السني مذهب الخلافة ، هذا ويعتبر مطالبة "ألتمش" نفسه بهذا الاعتراف مع استقبال رسل الخليفة بالترحاب وإقامة الاحتفالات تأكيداً لسلطة الخلافة العباسية الدينية ، ففي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م بعث"ألتمش" رسولاً إلى الخليفة "المستنصر بالله " يطلب منه مرسوم الاعتراف بحكمه في الهند (٩)، فأرسل هذا الأخير متضمناً تلقيبه بـ "ناصر أمير المؤمنين". وبذلك يعتبر "ألتمش" أول سلطان يلقب في الهند بهذا اللقب من قبل الخلافة العباسية (١٠).

---

(١) هلال بن الصابي : نفس المصدر السابق، ص١٠٥

(٢)هلال بن الصابي : نفسه ،ص١٣٠،

(٣) السادايي : تاريخ المسلمين ،ج١،ص١١٤.

(٤) الجوزجاني : طبقات ناصري ،ج١،ص٤٤١

(٥))زامباور : معجم الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص٤٢٢.

Oxford :History of India .p.24

(٦) خواندمير : حبيب السير ،ج٤م٢،ص٦١٩

(٧)) بدواني : منتخب التواريخ ،ج١،ص١٣٧ ، طبقات أكبرى ،ج١،ص١٠٢ ، السادايي: تالابخ المسلمين ،ج١،ص١٢٢، زامباور : معجم الأسرات ،ص٤٢٢.

(٨) ستالين بول : طبقات سلاطين الدول ،ص٥٩٨:٥٩٩ ، عصام الدين عبد الرؤوف : بلاد الهند ،ص١٧٠

(٩)ستالين بول : نفس المرجع السابق ، ص٥٩٨

(١٠) السادايي : تاريخ المسلمين ،ج١،ص١١٤

وبناء على ذلك أقام "ألتمش" حفلاً كبيراً حيث زينت البلاد وشيدت القباب احتفالا وتكريماً لرسل الخليفة، ولبس السلطان خلعة الخلافة وقرء مرسوم التعيين أمام الجميع ، وأنشد الشعراء ، القصائد الشعرية ترحيباً وتمجيداً للسلطان وخاصة الشاعر "تاج الدين زيره"([1])، وبذلك ارتفع مركزه بين مسلمي الهند.

كذلك شارك حكام الولايات التابعة لسلطنة المماليك في الاحتفال بهذه المناسبة بإرسال الهدايا والتحف القيمة إلى "دهلي" وإقامة الأفراح والاحتفالات في ولاياتهم ، ومن أبرز هؤلاء الولاة "تاج الدين يلدز" وإلى السلطان على "لاهور" الذي أقام احتفالاً كبيراً بهذه المناسبة ([2]).

هذا ولم تنقطع الصلات بين سلاطين المماليك والخلافة العباسية في "القاهرة" بعد سقوطها في "بغداد" على يد المغول بقيادة "هولاكو" سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٥م ، فقد كانوا يتوددون إليهم من باب التشريف ولزيادة نفوذهم بين رعاياهم المسلمين، فنقشوا أسماءهم على السكة ، وذكروهم في الخطبة ([3]).

لقد جرت العادة في سلطنة "دهلي" انه عند تولى أحد الخلفاء العباسيين العرش أن تقام الأفراح والاحتفالات ، وتزين الطرقات، وترسل الهدايا ويتم نثر الأموال الذهبية والفضة على الموكب وعلى المارة ، وتعد الأطعمة والأشربة وتوزع الفاكهة وغيرها من أدوات الاحتفالات ([4]).

٤- عواصم سلطنة المماليك بالهند :

اتخذ المماليك في الهند عدة عواصم في فترة حكمهم التي تعدت الثلاثة والثمانين عاماً ، والتي حكم فيها أحد عشر – سلطاناً مملوكياً، فكانت أول عواصمهم في فترة حكم "قطب الدين أيبك" مدينة "لاهور"، والتي نقلها إلى منطقة "دهلي" بعد ذلك ، واستمرت "دهلي" لفترة طويلة من الوقت عاصمة للمماليك ، نتيجة لأن "دهلي" تضم جميع سهول منطقة الدكن([5]). استمرت كذلك حتى عهد السلطان "معز الدين كيقباد" الذي نقل هذه العاصمة إلى "كيلو كهري" على شاطئ نهر "جون" واتخذها داراً للسلطنة ، حيث بني بها قصراً عالياً وحديقة كبيرة([6])، وفى سبب تغيير العاصمة أشار الهروي ([7]) بأن السلطان "غياث الدين بلبن" كان يوكل في تربيته وتنشئة ابنه "كيقباد" إلى معلمين ومؤدبين قساة ، فلم يتيسر له التمتع بمناهج الحياة ، ومن ثم اتجه "كيقباد" عندما أصبح سلطاناً إلى التمتع بما حرم منه من اللهو ، ونقل العاصمة لمدينة تساعده على هذا

([1])الشاعر تاج الدين زيره او بريزة أكثر الشعراء شهرة في بلاط ألتمش ، وهو من اصل هندى ، أنشد قصيدة طويلة بعد فتح السلطان قلعة مواليار في سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م (الهروي: طبقات أكبرى ،ج١،ص٦٩،المباركبوري :رجال السند والهند ،ج١،ص٧٩.

Husan Qureshi : The Administration of the sultanate of Delhi,p.179

([2])الجوزجاني : طبقات ناصري ،ج١،ص٤٤٤، يعتبر الأمير تاج الدين يلدز من الولاة الذين سيطروا على غزنة في نهاية الدولة الغورية ، والذين استمروا بها حتى هاجمهم الخوارزميون ،فانتقل إلى الهند ، وسيطر على لاهور من ناصر الدين قباجة ، فأقره السلطان ألتمش حاكماً عليها ، ولكن لم تدم العلاقات الحسنة بينهما ، فقام السلطان بمحاربته وأنزل الهزيمة به وقتله(الساداتي : تاريخ المسلمين ،ج١،ص١١١:١١٢).

([3]) عصام الدين عبد الرؤوف : بلاد الهند ، ص١٧٤

([4]) الهروي : طبقات أكبري ،ج١،ص١٠٣.

([5])الجوزجاني : طبقات ناصري ،ج١،ص١٠٤

([6]) الهروي:طبقات أكبرى ،ج١،ص١٠٠

([7]) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة

ثانيا : التنظيمات الإدارية في الهند في عهد المماليك :

ضمت بلاد الهند عدة أقاليم وولايات مهمة ، فلم تكن الهند في القديم هي شبه القارة المترامية الأطراف المتعارف عليها في العصور الحديثة إذ كانت هذه التسمية يضيق مدلولها حيناً فلا يعرف به إلا شقة ضيقة من الأرض أو يتسع اتساعاً كبيراً حيناً فتشمل رقعة واسعة في جنوب القارة الأسيوية ، واختلف الناس في منشأ تسمية هذه البلاد ، فمنهم من نسبها إلى الإله "أندرا"- إله الهند القديم — ومنهم من ردها إلى السند الذي كان يعرفه الفرس القدماء باسم "هندهو"- أي النهر- جرياً على عادتهم في إبدال السين السنسكريتية بالهاء وهؤلاء الفرس هم الذين أطلقوا اسم "الهندوستان"- أرض الأنهار — على الشمال بأكمله (١) .

وفي حقيقة الأمر فإن بلاد الهند قسمت إلى منطقتين كبيرتين ، الهند الشمالية أو الهندوستان ، والهند الجنوبية أو منطقة الدكن ، وقد ضم لها وادي "نريد" في الغرب والجبال المجاورة "لكتك" على خليج البنغال فوصل المنطقتين وأصبحت واحدة (٢).

ومن أهم المناطق الهند بعد "دهلي""كرمان"و "مكران"و"السند" و"قنوج"و"الملتان" ، وقد عزل الهند عن بقية اليابس الأسيوي أمنع حاجز إقامته الطبيعة بين بلدين ،وهو جبال "الهيمالايا"، كما أن الحدود الشرقية للهند جبلية كذلك ، وتشمل جبال "آسام" (٣)، وتسيطر "دهلي" على المدخل الذي يمهد طريق السهول "البنجاب" إلى الداخل ، والذي يحتوى على سهول نهرى "جمنا"و"كنكا"، التي فتحها السلطان "قطب الدين أيبك"، ووصل غاراته على "الكجرات"(٤).

ومن هنا نرى أن التقسيمات الإدارية في الهند ، ضمت العديد من الأماكن ، مما أوجب الحديث عن أهم النواب أو الولاة الذين ساعدوا السلاطين في إدارة هذه المناطق ، إلى جانب الوزراء والقضاة وقادة الجيوش المملوكية .

أشهر الوظائف الإدارية:

يأتي على رأس الجهاز الإداري ١- السلطان الذي كان يجمع في يديه مقدرات الدولة فهو القائد العام للجيش وحامى حمى البلاد، وأما الشخصية الثانية في النظام الإداري فكان ٢- الوالي. الذي يسانده في إدارة البلاد، وكثيراً ما كانت تنقسم السلطة بين الأمراء والأقوياء، مثلما حدث عقب وفاة السلطان "قطب الدين أيبك" ، حيث قسمت الهند إلى أربعة أقسام ،فصارت "دهلي" تحت سيطرة "ألتمش" قبل أن يصير سلطاناً (٥) ، ومنطقة "أجه" وبلاد "الملتان" تحت سيطرة "ناصر الدين قباجة"، وسيطر الأمراء الخلج على "لكهنوتى" ، أما "لاهور" وتوابعها فكانت تحت سيطرة "تاج الدين يلدز"(٦)، هذا وتوسع الأمير "ناصر الدين قباجة" فضم بعض القلاع ودخلت "تبرهند"و "كهرام"و"سرستى" تحت

(١) السادات : تاريخ المسلمين ،ج١،ص٣،

(٢)جوستاف لوبون : حضارات الهند ،ص٢٢٨

(٣)السادات :تاريخ المسلمين ،ج١،ص٤:٥.

(٤)بوزورث :الأسرات الحاكمة ،ص٢٥٨ ، OxFOrd : History of India,p.235

(٥) عندما توفى قطب الدين أيبك جلس ابنه أرمشاه على عرش دهلى ، وضرب السكة باسمه ، وكتب عليها هذا الدرهم مسكوك باسم الملك ظل الله في أرضه في سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م ، ضرب دار السلطنة ببلدة لاهور ، مما يدل على أن أرمشاه تبوء مكان الصدارة في السلطنة فترة من الوقت (الجوزجانى : طبقات ناصري ،ج١ ،هامش ص٤١٨)

(٦)خواندمير :حبيب السير ،ج٤م٢ ،ص٦١٢

سيطرته (١)، ولكن بفضل جهود السلطان "شمس الدين ألتمش" وقوة جيشه وتقدمه إلى "الملتان"، فقد نجح في إنزال الهزيمة "بقباجة" وأعاد المنطقة كلها إلى كتلة موحدة ، وذلك في سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م(٢).

وفى حقيقة الأمر فإنه نظراً لصعوبة المواصلات بين أطراف الهند ، فقد أصبحت السيطرة عليها من مركز عام واحد مسألة صعبة لهذا لم يكن هناك مفر من تعيين ممثلين للحكم ، ومع مرور الوقت تحول هؤلاء الإداريون إلى نوع من الولاة بدلاً من أن يكونوا إداريين يخضعون للسلطة المركزية ، لهذا كانت الخطوة المهمة التي لجأ إليها سلاطين المماليك هي إسناد منصب الوالي إلى أحد أفراد عائلة السلطان وخاصة إلى احد أبنائه ، فنرى السلطان "شمس الدين ألتمش" يسند ولاية "البنغال" إلى ابنه "ناصر الدين محمود"، بهدف استقرار الأمور فيها وعدم إثارة أهلها ضد الدولة (٣). كما أسند السلطان "ألتمش" أيضاً إلى ابنه "ركن الدين فيروزشاه" حكم ولايتين أحداهما "بدوان" والأخرى "لاهور" ، وذلك عقب مقتل حاكمها "تاج الدين يلدز" في سنة ٦٤٢هـ/١٢١٤م.

ولكي يطمئن السلطان "غياث الدين بلبن" على ولايتي "السند" و"الملتان" من غارات المغول فقد أسند حكمها إلى ابنه "محمد "،وعين ابنه "بغراخان" على ولايتي "سامانه"و "سنام"(٤).

وتأكيداً على استعانة سلاطين المماليك بالعديد من الولاة، لترامى أطراف منطقة نفوذهم ، ولصعوبة حكمها مركزياً ، نجد أن "ألتمش" أناب الأمير "فخر الدين سالارى"– على مدينة "سدوسان" الذي كان حاكماً منذ فترة عهد "ناصر الدين قباجة"– فأبقاه في الحكم (٥) كما أسند ولاية "لكهنوتي" إلى الأمير "اختيار الدين بلكا" ، الذى حاول أن يستقل بها ، فخرج السلطان ضده وقضى عليها ، وأعاد "لكهنوتي" لحوذه الدولة، ولكي يطمئن السلطان على تلك الولاية المهمة ، عزل عن حكمها "اختيار الدين" وعين بدلاً منه "علاء الدين جاني" في حدود سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م(٦) وكذلك فوض السلطان إلى "رشيد الدين" حكم قلعة "كواليار" حتى يضبط أمورها وتستقر أحوالها (٧).

أما إذا انتقلنا إلى ولاة السلطان "ألتمش" فإننا نرى عدداً لا بأس به من الولاة في أرجاء بلاد الهند، فقد تولى ولاية "أودة" الأمير "غياث الدين محمد شاه"، وأسندت ولاية "بدوان" إلى الأمير "عز الدين سالارى"، كما كان على مقاطعة "لاهور" الأمير "علاء الدين جاني"، وذلك في سلطنة "ركن الدين فيروزشاه" في حدود سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م(٨).

لقد كانت لولاية "لاهور" أهمية كبيرة بالنسبة للسلطانة "رضية"، فقد عينت عليها في البداية الأمير "عز الدين كبير خان" فلما توفى أسندت حكمها إلى الأمير "قطب الدين حسين"(٩)، هذا إلى جانب الأمير "إيتار الدين التونيا" حاكم

(١)الجوزجاني : طبقات ناصري ،ج١،ص٤١٩

(٢) خواندمير : حبيب السير ،ج٤م٢،ص٦١٨

(٣) MUnshi :The Struggle for Empire,p.143(Bombay,1957)

البنغال : تقع في أقصى شرق الهند ، وتعتبر المعبر الرسمة إلى أرض التبت والصين ، وأكبر مصدر للسكر والعقاقير الطبية ، وهى تشكل الآن دولة البنجلاديش الإسلامية (A.K.Jaim : The city of Delhi,p.46)

(٤)الجوزجاني : طبقات ناصري ،ج١،ص٤٦٩،٤١٩

(٥) رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ،ج٢،ص٥٤٧

(٦)الجوزجاني : طبقات ناصري ،ج١،ص٤٣٧:٤٣٨ هذه لم تكن المحاولة الأولى للاستقلال عن سلطة المماليك في عهد ألتمش بل سبقتها محاولة ناصر الدية قباجة ، الذى حاول الخروج في السند ، وتم القضاء عليه (رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ ،ج٢،ص٥٤٦)

(٧) خواندمير : حبيب السير ،ج٤م٢،ص٦١٨،

(٨) الجوزجاني : طبقات ناصري ،ج١،ص٤٥٥:٤٥٦

(٩) خواندمير :حبيب السير ،ج٤م٢،ص٦٢٠ ، الهروي :طبقات أكبرى ،ج١،ص٧٣

"برهند"، الذى رأى في نفسه المقدرة على التطلع إلى العرش ، فأعلن نفسه سلطاناً مكانها ، إلا أن عصيانه انتهى بقتله (١)

وفى عهد السلطان "معز الدين بهرامشاه" هجم المغول على ولاية "لاهور" وحاصروها ، مما تسبب معه فرار واليها من قبل السلطان المدعو "قراقش" الذي اتجه إلى "دهلي"، خشية مواجهه المغول (٢).

أما في عهد السلطان "ناصر الدين محمود بن ألتمش" فقد عين الأمير "قتلقخان" زوج والدة السلطان السيدة "ملكة جهان" على ولاية "أوده"، الذي أعلن العصيان على السلطان وانضم إليه "ألغ خان بلبن"، مما ترتب عليه صراع طويل بينهما وبين ابنها السلطان ، وانتهى الأمر بالصلح وعودة السلطان إلى "دهلي" سالماً(٣).

استخدم بعض سلاطين المماليك أسلوب العقاب في إدارة شئون البلاد، فقد اعتمد "غياث الدين بلبن" على هذا النظام، وكان يعدم فوراً القائد العسكري الذي يفشل في أداء مهمته، فعندما أعلن صاحب البنغال"زين طغرل خان" العصيان ، واتخذ لنفسه لقب السلطان وسمى نفسه "مغيث الدين"، وضرب السكة ، وقرأ الخطبة باسمه ، قام "بلبن" بإرسال جيش على رأسه "ايتكين موى وراز" الملقب "بأمين خان" حاكم ولاية "أودة" لتأديبه إلا أن الهزيمة حلت بهذا الجيش فأمر السلطان بقتله وعلق رأسه على بوابة "أودة " عقاباً له على ما حل به من هزيمة (٤)

أما "معز الدين كيقباد بن بلبن" فقد جعل "جلال الدين فيروزشاه" نائباً عنه في حكم "سامانه"، ثم ما لبث أن استدعاه إلى بلاطه وجعله عارضاً للجيش ، ومنحه إقطاع "برن" ولقبه "بشاسته خان" ، وكانت مدة الولاية غير محددة ، بل كان الوالي يستمر في ولايته مادام أهلاً لثقة السلطان ما لم يقم بعصيان وفتنة في البلاد (٥).

٣– الوزير :

للوزير عدة اختصاصات مهمة في الدولة وعليه واجبات من أهمها ضبط مصالح السلطان وعمارة المملكة ، وجمع شتات الرعية وضبط الشئون والعمل على زيادة الموارد ومعاونة السلطان في تنمية موارد البلاد وأعمارها . وقد سلك سلاطين المماليك سياسة خلفاء الدولة العباسية في الاعتماد على الوزير في مراقبة تنفيذ القوانين والإشراف على الإدارة الحكومية ، ويعتبر قيادة الجيوش من أهم واجبات الوزير لدرء خطر الأعداء في الداخل والخارج ، فنجد الوزير "نظام الملك" في عهد "ألتمش" يقود الجيش ضد والى "الملتان"(٦)، وكذلك قاد "نظام الدين" وزير " ركن الدين فيروزشاه" الجيش تجاه "لاهور" لمقاومة المغول (٧) ، هذا وقد أسند قيادة الجيش إلى الوزير "ألغ خان بلبن" في عهد "ناصر الدين محمود"(٨).

(١) فرشته : تاريخ فرشته ،ج١،ص١١٩، oXFord : History og India ,o.204

(٢) الهوري: طبقات أكبرى ،ج١،ص٧٦.

(٣) خواندمير : حبيب السير ،ج٤م٢،ص٦٢٥.

(٤))الهروي : طبقات أكبري ،ج١،ص٩٢، الساداتي : تاريخ المسلمين،ج١،ص١٢٥، زين طغول: كان مملوكاً تركيا من مماليك السلطان بلبن، اتصف بالشجاعة والمروءة والسخاء ، وكان حاكما على لكهنوتى ، ثار على السلطان مستغلاً إرسال أولاد السلطان لحرب المغول (الهروي : نفس المصدر السابق الجزء والصفحة).

(٥)الهروي : نفس المصدر السابق الجزء، ص١٠٦

(٦) الهروي : نفس المصدر السابق والجزء ،ص٦٧

(٧) الجوزجاني : طبقات ناصري ،ج١،ص٤٥٦.

(٨) Oxford : History of India ,p.240

ارتفعت مكانة الوزير بالهند في الدولة المملوكية ، حتى بلغت أقصى ارتفاع لها بأن خلع عليهم السلاطين ألقاباً فخرية، مثلما حدث مع الوزير "مهذب الدين" الذى أطلق عليه لقب "نظام الملك"(١) ، وتلقب "محمد جنديرى" وزير السلطانة "رضية" بنفس اللقب – وهو الوزير الذي تمرد على السلطانة – فأمرت بتعقبه وقتله في إحدى الجبال(٢).
وفى سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م في سلطنة "ناصر الدين محمود" أُسندت الوزارة إلى "عين الملك بن نظام الملك محمد"،وصار لقبه عين الملك علماً عليه ، وقد استمر هذا الوزير في دست الوزارة حتى عزل في سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م وتولى بدلاً منه "صدر الملك نجم الدين أبو بكر"، الذى أسندت إليه الوزارة من سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م واستمر فيها حتى عزله وقتله (٣).
وفى حقيقة الأمر فإن دست الوزارة في عصر المماليك ارتفع شأنه بتعيين الأمير "فخر الدين أسامي" وزيراً للسلطان "ألتمش" ، وكان أن اكتسب هذا الوزير خبرة كبيرة في تسيير شئون البلاد عندما كان وزيراً للخليفة العباسي في بغداد، وهو من العنصر العربي وقد استقبل هذا الوزير بالحفاوة والتكريم ورفع السلطان من قدره ومكانته(٤).
أما في عهد السلطانة "رضية" فقد وصل الوزير "مهذب الدين" إلى الوزارة ، وهو الذي اكتسب خبرة إدارية في عهد سلفه الوزير "نظام الملك محمد جنيدي" ولما قتل هذا الأخير ، تولى مكانه ، ولكنه عندما اشتد ساعده قام بتشجيع عصيان بعض الأمراء على "رضية" وحاصر "دهلى" فاضطرت السلطانة لمحاربتهم والقضاء عليهم (٥).
ومما سبق نلحظ أن بعض الوزراء تعرضوا للقتل والاغتيال على يد بعض السلاطين الذين دبروا هذه الاغتيالات ، فقد دبر السلطان "معز الدين كيقباد" مكيدة لوزيريه "نظام الملك"،و "خواجة خطير" الذي أمر بالتشهير به في شوارع "دهلي" على حمار ، ثم أمر بقتله (٦).

٤– القاضي:

منصب القاضي من المناصب الإدارية في الدولة المملوكية بالهند ، ويعتبر هذا المنصب من الوظائف الدينية في الدولة ، فالقاضي له الحق في النظر في القضايا الدينية والمدنية والنظر في الجرائم ، وله الحق في التحدث في الأحكام الشرعية ، والقيام بالأوامر الشرعية ، وفى حديثنا عن السلطانة "رضية" نلاحظ أن هناك مذهبين منتشرين في الدولة وهما المذهب الحنفي والمذهب الشافعي (٧). وبناء عليه فإن القاضي لابد أن يتم اختياره من بين أعلم الناس بالفقه والشريعة الإسلامية – وخاصة الفقه السائد في بلاد الهند– ومن أوسع الناس علماً وإدراكاً، ويحرم عليه أن يأخذ منصبه بالرشوة ، فإن أخذ بها لا يصير قاضياً ، وأما قبول الهدايا فمن أقبح ما يرتكبه القضاة ، وعليه أن يردها لأنها شبيهة بالرشوة ، ومن أهم واجبات القاضي تنفيذ العدل بين المتخاصمين، وقد تشدد السلطان "شمس الدين ألتمش" في تطبيق العدل ، ورد المظالم وإنصاف المظلومين فأمر أن يلبس كل مظلوم ثوباً مصبوغاً ، في وقت كان أهل الهند يلبسون البياض، وكان إذا ركب في موكب ورأى أحداً عليه ثوب مصبوغ نظر في قضيته وأنصفه ممن ظلمه باعتباره المسئول الأول عن الرعية ، كذلك أقام

---

(١)الجوزجاني : طبقات ناصري ،ج١،ص٤٥٩.

(٢) بدواني : منتخب التواريخ ،ج١،ص٨٦

(٣) خواندمير : حبيب السير ،ج٤م٢،ص٦٢٤:٦٢٥.

(٤) Husan Qureshi : The Administration of the Sultanate of Delhi,p.4

(٥) الجوزجاني : طبقات ناصري، ج١،ص٤٥٩ ؛ الهروي :طبقات أكبري :ج١،ص٧٣.

(٦)بدواني : منتخب التواريخ ،ج١،ص١٤٣

(٧) AZIZ AHMAD :An intellectual History of Islam In India ,p.22

على باب قصره تمثالين على هيئة أسدين علق في رقبتهما سلسلة من الحديد ، فإذا أتى المظلوم ليلاً حرك الجرس ، فيسرع السلطان لنظر شكواه([1]).

وفى عهد السلطان "غياث الدين بلبن" انتشر العدل وطبق على الجميع وخير دليل على ذلك ضرب قائد حرسه "بقبق خان" بالسياط لما اقترفه في حق أحد الخدم ([2]).

ومن أشهر من تولي منصب قاضي القضاة في "دهلى" في عهد السلطان "شمس الدين ألتمش"، القاضي "وجيه الدين الكاشاني"، الذى شهد على تحرر السلطان من رق العبودية بقراءة مرسوم عتقه على الأشهاد([3])

من قضاه السلطان "معز الدين بهرا مشاه" القاضي "جلال الدين كاشاني" ، الذى رفع إلى منصب والى "أودة" والقاضي "كبير الدين شمس الدين"، اللذان حاولا تبديل السلطنة والقضاء على السلطان وعزله ، وتولية أخيه السلطان "علاء الدين مسعود" ([1])

ومن مآثر السلطان "بلبن" وحبه للعدل ونشره بين الأهالي أنه شيد داراً أسماها دار الأمن ، يلجأ إليه أصحاب المظالم ، وينظر في شكاواهم ويخفف أعباء الحياة عنهم ، ولم يفرق في ذلك بين رعاياه الهنادكة والمسلمين ([4])، هذا ومن أشهر القضاة في عهده شيخ الإسلام "سيد قطب الدين " والقاضي "شمس الدين بهرائيجى قتلقخان"([3]).

لم تقتصر مهمة القضاة على النظر في الشئون الدينية بل كانت أكثر وأوسع من ذلك لانشغال بعضهم بالنواحي السياسية ، حيث تآمر بعض القضاة ، منهم "جمال الدين الكاشاني" والقاضي "كبير الدين قراقش"، وحاولا إسقاط السلطان، وبالتالي عاقب السلطان "معز الدين بهرامشاه" بعزل "جمال الدين الكاشاني" من منصب القضاة ، والقبض على "كبير الدين قراقش" وإلقائه تحت أقدام الفيلة أمام أهالي "دهلى"([4]).

والخلاصة فنظام القضاء في "دهلى" يتمثل في أن السلطان هو القاضي الأكبر ، وأن متولي المنصب هو من يفصل في المنازعات بين المسلمين، ويدين الذين يخالفون الشرع ، وإن كان نظام الحكم في الشكاوي التي كان الهنادكة طرفاً فيها لم

([1]) ابن بطوطة : الرحلة ، ص٢٨١

([2])الهروي : طبقات أكبري ،ج١،ص٨٣

([3])ابن بطوطة : الرحلة ،ص٢٨٠

([4])الجوزجانى : طبقات ناصري،ج١،ص٤٦٥؛ فرشته : تاريخ فرشته ،ج١،ص١٢٢.

([2]) ابن بطوطة : الرحلة ،ص٢٨٢؛عصام الدين عبد الرؤوف : بلاد الهند ،ص١٧٩.

([3]) الهروي : طبقات اكبري ،ج١،ص٨١.

([4])ابن بطوطة : الرحلة ،ص٢٨٠:٢٨١؛ Munshi : The struggle for Empire,p.139

([5])المغول : لقد تعقب المغول خروج السلطان جلال الدين منكبرتي إلى بلاد الهند ، وبذلك عرفوا خيرات البلاد ، فبعد عبور منكبرتي إلى ابلاد السند سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م، وتنقله من مدينة إلى أخرى ،حيث كان يظهر في بعض الأحيان بمظهر الكسير الذليل من هول ما أصاب دولته – الدولة الخوارزمية على يد المغول – أصبحت بلاد الهند مكاناً لغارات المغول المتعددة بعد ذلك (النسوي :سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص١٥، ترجمة حافظ حمدي، طبعة دار الفكر العربى سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥١م،ص١٥؛ الساداتي : تاريخ المسلمين،ج١،ص١١٣).

([6])الهروي : طبقات أكبري ،ج١،ص٦٨.

([7])القلقشندي: صبح الأعشى ،ج٥،تعليق خالد الخطيب ،طبعة بيروت سنة ١٩٨٧م،ص٩٢

([8])الهروي : طبقات اكبرى ،ج١،ص٧٥.

يجر ذكره في أي مصدر أو مرجع إلا أن الراجح أنهم كانوا يحصلون على حقوقهم ، ولو كان خصومهم من المسلمين أصحاب النفوذ والسلطان.

٥- قيادة الجيوش:

اهتم سلاطين المماليك بالجيش ، كقوة يحسب لها حسابها في الداخل ، وفى التوسعات الحربية ودرء الأخطار الخارجية، فقيادة الجيش هي المهيمنة على مقدرات الجنود وتحركاتهم ، وبالتالي تم تكوين جيوش قوية تدين بالولاء التام لسلاطين المماليك، وتعمل على إنزال الهزائم بالحكام المجاورين، كخانات المغول وراجات الهند وغيرهم (٥). ومن عادة سلاطين الهند أن يعتنوا في قتالهم بالتشكيلات الحربية ، فكان السلطان يقف في القلب وحوله الأئمة والعلماء (٦)، والرماة أمامه وخلفه، كما جرت العادة أن يوضع الفيلة في بداية الصفوف (٧)، يليهم مجموعة من الأبراج بها منافذ لرمي النشاب وقوارير النفط ، وأمام الفيلة العبيد المشاة يسحبون حبال الفيلة من الميمنة والميسرة . ومن البديهي أن يركب السلطان الفيل في وسط الميدان، مما يدلل على رفع المكانة ، خاصة أن سلاطين "دهلى" اعتبروا امتلاك أحد من رجال الدولة فيلاً كان ضرباً من المقارنة بالسلطان ، وقد وصل الأمر بأن أمر السلطان "معز الدين بهرامشاه بن ألتمش" بقتل قاضيه "اختيار الدين" لامتلاكه أحد الأفيال (٨)

تركزت القيادة العامة للجيوش في عصر المماليك في يد الأسرة الحاكمة نفسها، فكانت مهمة قيادة الجيوش مركزة في كثير من الأحيان في يد السلطان نفسه باعتباره القائد الأعلى للجيش، فقد خرج " شمس الدين ألتمش " علي رأس جيشه لإخضاع حاكم " الملتان " و "أجه "، "قباجة ، وبالفعل حقق هذا الجيش الانتصار على هذا الحاكم وأنزل الهزيمة به(١). هذا وقد خرج السلطان " ألتمش " على رأس جيش كبير قوامه ثلاثون ألف فارس ومائة ألف راجل، وثلاثمائة فيل. لصد السلطان " جلال الدين منكبرتي " وتقدمه تجاه " دهلى " وقد نجح في ذلك وانتصر انتصاراً كبيراً(٢).

أما عن خير دليل على قيادة سلاطين المماليك للجيوش المملوكية فهي السلطانة "جلالة الدين رضية "، التي سارت بالجيش ضد حاكم " لاهور "، لتمرده على حكمها، كذلك خرجت ضد حاكم " تبرهند " المسمى "التوانيا "، حيث حاصرته في مدينته حتى أعلن الدخول في طاعتها(٣).

وفي سنة ٦٤٣ هـ /١٢٤٥ م قاد السلطان " علاء الدين فيروزشاه " جيشاً ضد غارات المغول على شمال الهند، وأجبرهم على الفرار خارجها(٤)، كذلك خرج السلطان " ناصر الدين محمود " في سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م لاخضاع راجاً إقليم "مالوه " المسمى " راجابهيم ديو "، وانزل الهزيمة به واستولى على أهم القلاع التابعة لولايته(٥).

وفي حقيقة الأمر فإن سلاطين المماليك أوكلوا في كثير من الأحيان قيادة جيوشهم إلى أحد أبنائهم، مثلما حدث في عهد " ألتمش " الذي أسند قيادة الجيش إلى ابنه " ناصر الدين محمود " وأمره بالتوجه لمحاربة صاحب البنغال " حسام الدين

(١)بدواني : منتخب التواريخ : ج١،ص٦٤.

(٢)النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،ص١٦٧:١٦٨؛ ولقد أرسل السلطان جلال الدين منكبرتي رسولاً إلى السلطان شمس الدين ألتمش يطلب منه ان يعين موضعاً في دهلى ، ليقيم فيه جنوده ، ومن هن ادرك ألتمش مدى خطورة وعواقب تقدم الوزارزميين من بلاده (الهمذاني : جامع التواريخ ،ج٢،ص٥٤٦)

(٣)الجوزجاني : كبقات ناصري ،ج١،ص٤٦٣

(٤)خواندمير : حبيب السير ،ج٤ك٢،ص٦٢٤.

(٥) خواندمير : نفس المصدر السابق والجزء والقسم ،ص٦٢٣ ؛ مالوه : تقع على بعد ٣٠٠ ميلاً جنوب دهلى ، وتضم عدة قلاع حصينة فيها قلعة بهيلسان ، وبها مدينة أجين التى كانت مركزاً للهنود وعباداتهم ، وكبرى مدنها مدينة مندو .
(A.K: The City of Delhi,p.55)

عوض خلجي "، الذي أعلى استقلاله عن نفوذ المماليك، وبالفعل حقق هذا الجيش انتصاراً كبيراً(١)، كذلك أسندت السلطانة " رضية " إلى " قطب الدين حسن " قيادة الجيش الذاهب إلي "رنتهبور" بعد أن حاصرها الهنود، فحقق انتصاراً كبيراً، وفك الحصار عن هذه الولاية(٢)

وكان أن عهد السلطان "بلبن " بقيادة الجيوش المملوكية ضد المغول لابنه " بقاان محمد "، الذي سار لصدهم عند " لاهور " و " بغراخان " الذي اتجه لمدينة " سامانية "، وبذلك حقق " بلبن " الانتصار على المغول، وتصدى لتقدمهم على حدود الهند (٣).

وفي بعض الأوقات كان السلاطين يسندون قيادة الجيوش الهندية في عصر المماليك إلي الوزراء وكبار رجالات الدولة، فقد أسند السلطان " قطب الدين أيبك " قيادة الجيش للقائد " محمد بختيار خلجى" الذي نجح في ضم عدة قلاع مثل "تهنكر"و "كواليار"(٤)، وكذلك أسند "أيبك" إلى قائد أخر هو "قطب الدين قايماز" التصدي لحاكم " لكهنوتى " " عز الدين محمد شيران " فانتصر هذا القائد عليه، وحقق النصر للمماليك(٥).

ومن أهم الوزراء الذين قادوا جيوش المماليك في عهد " ألتمش " ،الوزير " نظام الملك محمد " الذي أعاد إقليم " الملتان " وقضي علي فتنة حاكمها " ناصر الدين قباجة "(٦)، كما سار وزير السلطانة " رضية " القائد " قطب الدين حسين " على رأس الجيش لإعادة قلعة " رنتهبور " إلى الدولة(٧).

وقد أسند السلطان "ناصر الدين محمود " قيادة الجيش المتجه إلى " الملتان " إلى القائد " ألغ خان "، فحقق نصراً كبيراً في " دلكي " و " ملكي " ، وعاد للسلطان بالكثير من الغنائم، وذلك في سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٥ م(٨). هذا وقد اسند السلطان " علاء الدين فيروزشاه " قيادة الجيش المتجه لإقليم " البنغال " إلي اثنين من القادة هما " تيمورخان " و "قرابيك "،كما أسند " ناصر الدين محمود " قيادة الجيش إلى أحد الهنود، وهو " عماد الدين ريحان الهندي " الذي اتصف بالخبرة والمهارة العسكرية(٩).

كذلك استعان هذا السلطان بقائد آخر في قيادة جيشه وهو " قتلقخان بلبن " الذي أهلته خبرته العسكرية إلى ضم عدة ممتلكات وقلاع للدولة(١٠)، هذه الشخصية هي التي ستصير سلطاناً علي البلاد باسم "غياث الدين بلبن ".

كما أسند السلطان " بلبن " إلى القائد " باريك بيكترس " قيادة الجيش للقضاء على حاكم الملتان " زين طغرل "، حيث تصدي له وانتصر عليه فارتفعت مكانة هذا القائد فأنعم عليه السلطان بلقب " آمين خان "، وأنزله منزلة حسنة في الدولة (١١).

---

(١)فرشته : تاريخ فرشته ،ج١،ص١١٤:١١٥.

(٢)الجوزجاني : طبقات ناصري/ج١،ص٤٥٩:٤٦٠.

(٣) Munshi : The Struggle for Empire,p.154

(٤) بدواني: منتخب التواريخ ،ج١،ص٥٨

(٥) خواندمير : حبيب السير ،ج٤م٢،ص٦٠٠؛ عصام الدين عبد الرؤوف : بلاد الهند ، ص٦٣.

(٦) Cambridge : History of India,p.53.

(٧)فرشته : تاريخ فرشته ،ج١،ص١١٩

(٨)بدواني : منتخب التواريخ /ج١،ص٨٨

(٩)الساداتي : تاريخ المسلمين،ج١،ص١٢٦

(١٠) الهروي : طبقات اكبري ،ج١،ص٧٩؛ Munshi : The Struggle for Empire,p.140

(١١)الهروي : نفس المصدر السابق الجزء والصفحة.

والخلاصة فإن سلاطين المماليك اهتموا بتطوير جيوشهم، وإمدادهم بالأسلحة والذخائر ، واختيار القيادة العسكرية الماهرة والمدربة علي فنون القتال والحرب، وخوض المعارك الكبيرة، وعملوا علي التصدي للأخطار ، وكان اهتمامهم نابعاً من إيمانهم الصادق بمدي الدور الفعال للجيوش الإسلامية في الهند.

- **الدواوين:**

تمثلت الإدارة في الهند في عهد سلاطين المماليك في الدواوين ، وهي التي أطلق على وظائفها اسم الوظائف الديوانية ، فالهدف من الدواوين تنظيم الشئون الإدارية في البلاد، ولما كانت دولة المماليك تتسم بالطابع العسكري والقيادة ذات الكفاءة الحربية، وكان جل اهتمامهم بالجانب العسكري وتعليم الفروسية، لذا فإن من أهم هذه الدواوين:

١– ديوان الجند:

يطلق علي هذا الديوان اسم ديوان العارض، حيث اهتم المماليك بعرض قواتهم والاطمئنان على معداتهم وأسلحتهم ولوازمهم وكانوا يقومون بمهمة استعراض الجند، واستعداداتهم العسكرية بأنفسهم ، خاصة قبل المسير إلى ساحات القتال، فقد كان السلطان " ناصر الدين محمود " يبالغ في استعراض جيشه والاطمئنان على تجهيزاته، والوقوف على كل صغيرة وكبيرة في استعداداته قبل خروج الجيش لملاقاة الهنود(١). كذلك اهتم السلطان " غياث الدين بلبن " بالاطمئنان على استعدادات جيشه بنفسه حتى لا يقصر أحد في أمر من أمور الجيش (٢)

منح المماليك لديوان الجند الاهتمام الكبير في البلاد مقارنة بباقي الدواوين، من منطلق مسئولية الدولة للإشراف على مرتبات وأرزاق الجند، وذلك نتيجة لإدراكهم مسئولية الجيش في إقرار الأمن والقيام بالعمليات العسكرية الخارجية، وحتى يضمنوا ولاء جنودهم التام، بالحصول على مستحقاتهم المالية اللازمة لمتطلبات حياتهم المعيشية اليومية(٣)، لذلك عين في منصب رئيس ديوان الجيش شخصية ذات نفوذ كبير يطلق عليه اسم صاحب ديوان العرض . وممن تولى هذا المنصب في عهد " معز الدين بهرامشاه " " ملك صدر الملك تاج الدين "، الذي اثبت كفاءة كبيرة في إدارة شئون الجند(٤).. وفي عهد السلطان " معز الدين كيقباد " اسند منصب رئيس ديوان العرض إلى " ملك جلال الدين فيروزشاه الخلجي "، الذي اكتسب خبرة في حياته السياسية كوالي ونائب للسلطان على ولاية "سامانه "، لقد حقق هذا العارض للجنود مكاسب كثيرة، إلى جانب زيادة أعطياتهم (٥)، واهتم بتجهيزاتهم العسكرية وأسلحتهم، لدرجة كسب انتماء الجند لعنصر الخلج ، ونتج عن ذلك إنزال الهزيمة بجيش السلطان " شمس الدين كيخسرو بن كيقباد " آخر سلاطين المماليك، وبذلك انتهت دولتهم على يد عنصر الخلج الذين أسسوا دولتهم مكانهم(٦).

٢–ديوان الرسائل:

(١) فرشته : تاريخ فرشته ،ج١،ص١٢٧

(٢)الهروي : طبقات أكبري ،ج١،ص٨٨

(٣) لقد قدرت رواتب الجنود في الدولة المملوكية على حسب رتبهم العسكرية ، فالأمير يبلغ راتبه أربعين ألف تنكة في السنة (الهروي : نفس المصدر السابق والجزء ،ص٨٨)؛ التنكة عملة مصنوعة من الذهب ، مقدارها ثلاثة مثاقيل ، وتسمى التنكة الحمراء ، أما المصنوعة من الفضة فتسمى التنكة البيضاء وتسمى كل مئة ألف تنكة بلكا (القلقشندي : صبح الأعشى ،ج٥،ص٨٥)

(٤)الجوزجاني : طبقات ناصري ،ج١،ص٤٦٣.

(٥)بدواني : منتخب التواريخ ،ج١،ص١٤٢.

(٦) فرشته : تاريخ فرشته ،ج١،ص١٥٠؛Munshi : The Struggle for Emoire,p.155

هو الديوان المختص بالمكاتبات والرسائل بين الدولة المملوكية في الهند والبلاد المجاورة لها . وهذا الديوان لم يكن مستحدثاً في دولة المماليك، بل ظهر منذ بداية الدولة الإسلامية ، ونظراً لأهمية هذا الديوان فقد عين موظف كبير للإشراف عليه وترتيب أموره، يطلق عليه اسم رئيس ديوان الرسائل ، وقد اشترط في اختياره أن يكون صاحبه على درجة كبيرة من إجادة الكتابة بعدة لغات منها اللغة العربية واللغة الفارسية، ومن أشهر من تولي ديوان الرسائل في الهند في عصر المماليك " تاج الدين الدهاوى " في عهد السلطان " ألتمش "(١) ، اشتهر " الدهاوى " بإجادة الشعر والأدب باللغتين الفارسية والسنسكريتية مما سهل مهمته في التراسل وكتابة الخطابات مع راجات الهند(٢).

٣–ديوان البريد:

هذا الديوان يختص بنقل الأخبار والمراسلات إلى السلطان المملوكي وإعلامه بما يجد من أمور في الدولة وولاياتها القريبة والبعيدة، ولقد وصف لنا ابن بطوطة(٣) نظام البريد في بلاد الهند في عهد المماليك على أنه نوعان إما بريد الخيل ويسمونه " الولاق "، وهو خيل للسلطان في كل مسافة أربعة أميال، والنوع الثاني بريد الرحالة فيكون في مسافة الميل ويسمونه " الداوة "، و " الداوة " هي ثلث ميل، والميل عندهم يسمى " الكروة "، وبناء على ذلك يكون في كل ثلث ميل قرية معمورة، خارجها ثلاث قباب يجلس بها الرجال المستعدين للحركة، وهم شادون في أوساطهم أحزمة، وعند كل واحد منهم مقرعة بأعلاها جلاجل نحاس، فإذا خرج البريدي من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده، والمقرعة باليد الأخرى فإذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الجلاجل تأهبوا له، فإذا وصلهم أخذ أحدهم الكتاب في يده ومر بأقصى سرعة وهو يحرك المقرعة، حتى يصل إلى الداوة الأخرى .

ولقد تعددت اختصاصات صاحب البريد لدرجة العمل في التجسس لحساب السلطان ونقل كل ما يقع أمام عينه في قصور الولاة ورجال الدولة، ومن أبرز من اهتم بهذا النظام من السلاطين السلطان " بلبن "، الذي اهتم بصورة كبيرة بأمر التجسس والجواسيس (٤).

ومن أهم الشخصيات التي تولت منصب ديوان البريد " تاج الدين علي الموسري " في عهد سلطنة " معز الدولة بهرامشاه "(٥) ، وأسند السلطان " بلبن " إلي " فخر الدين محمد " كوتوال القلعة منصب صاحب ديوان البريد (٦)، الذي كان السلطان دائم الرجوع إليه في كافة شئون المملكة، فكان يطلعه علي كل صغيرة وكبيرة في البلاد، فاستتب الأمن وأحكم السلطان قبضته علي شئون الإدارة في البلاد.

وصفوة القول فإن سلاطين المماليك اطلعوا على العديد من النظم الإدارية وصاغوا نظم خاصة بهم، تتناسب معهم ، وذلك من خلال عدة وظائف إدارية وأنظمة حكومية، وساروا على نظام الوراثة في بعض مراحل حكمهم، وتلقبوا بعدة ألقاب فخرية، واعتمدوا على عدة وظائف كبرى مثل وظيفة الوالي والوزير والقاضي وقائد الجيوش، بالإضافة إلى العديد من الدواوين الحكومية كديوان الجند وديوان الرسائل والبريد وغيرهم من الدواوين.

(١) المباركبوري : رجال السند والهند ، ج١،ص٧٦.

(٢)) الهروي : طبقات أكبري ،ج١،ص٦٩

(٣)الرحلة ،ص٢٦٢:٢٦٣

(٤)الجوزجاني : طبقات ناصري ،ج١،ص٤٦٤

(٥) خواندمير : حبيب السير ،ج٤م٢،ص٦٢١

(٦)الهروي : طبقات أكبري ،ج١،ص٩٩

ملحق رقم (١)

ثبت بأسماء حكام الدولة المملوكية الأتراك في دهلى بالهند

١–قطب الدين أيبك	١٥ ذي القعدة ٦٠٢ هـ /١٢٠٥ م
٢–أرامشاه	جمادى الأول ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م
٣–شمس الدين ألتمش القطبى	٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م
٤–ركن الدين فيروزشاه الأول	شعبان ٦٣٣هـ / ١٢٣٥ م
٥– جلالة الدين رضية بيكم	ربيع الأول ٦٣٤هـ / ١٢٣٦ م
٦– معز الدين بهرام شاه	٢٨ رمضان ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م
٧–علاء الدين مسعود شاه	ذو القعدة ٦٣٩هـ / ١٢٤٦ م
٨–ناصر الدين محمود شاه الأول	المحرم ٦٤٤هـ / ١٢٤٦ م
٩– غياث الدين أولوغ خان بلبن	١٠جمادى الأول ٦٦٤هـ / ١٢٥٥م
١٠–معز الدين كيقباد(اغتيل في ٦٨٩ هـ بأمر فيروز خلجي)	٦٨٦هـ/ ١٢٨٧ م
١١–شمس الدين كيوسرث(اغتيل في ٣جمادى الأول ٦٨٩هـ)	جمادى الأول ٦٨٩هـ /١٢٩٠ م(١)

الأول ٦٨٩هـ / ١٢٩٠ م(١)

(١) زامباور : معجم الأسرات الحاكمة ،ص٤٢٢

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية:

١-ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٥ م): أبو الحسن على بن أبو بكر محمد الشيبانى "الكامل في التاريخ "، جـ١٢، طبعة دار صادر ، بيروت- لبنان ، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .

٢- أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، جـ١، مطبعة الجماهير بالقاهرة(د.ت)

٣-ابن بطوطة(ت٧٩٩هـ / ١٤٠٢ م): محمد بن عبدا لله اللواتي ؛ الرحلة المسماه " تحفة النظار في غرائب الأمصار "، شرح وكتب هوامشه طلال حرب، طبعة دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ١٤٠٧هـ / ١٩٨٢ م .

٤-العتبى(ت٤٢٨هـ /١٠٣٦ م): أبو نصر محمد بن عبد الجبار، " تاريخ اليميني "المسمي الفتح الوهبى على تاريخ أبو نصر العتبى ، جزءان، طبعة القاهرة، سنة ١٣٨٦هـ .

٥-عصام الدين عبدالروؤف الفقهي : بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيمورى ، طبعة دار الفكر العربي ، سنة ١٤١٦هـ /١٩٩٦ م .

٦-العيني (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١ م): بدر الدين محمود، "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان "،جـ١ حوادث ٦٤٨ :٦٦٤ هـ حققه ووضع حواشيه محمد محمد أمين، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م

٧- المقريزي(ت٨٤٥هـ / ١٤٤١ م) : تقي الدين أبو العباس أحمد " السلوك لمعرفة دول الملوك "، حـ١، إعداد محمد عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م.

٨- هلال بن الصابي(ت٤٤٨هـ / ١٠٥٦ م) : أبو الحسين هلال بن المحسن ، " رسوم دار الخلافة "، عنى بتحقيقه والتعليق عليه ونشره ميخائيل عواد، مطبعة العاني ببغداد ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤ م .

٩- ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ /١٢٢٩ م) : شهاب الدين أبو عبدا لله الحموي ، " معجم البلدان "،٥ أجزاء ، طبعة دار صادر بيروت ، سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٢ م .

ثانياً : المصادر والمراجع الفارسية :

١٠- بدوانى(ت ق ١١ / ١٨ م) : عبد القادر ملوك شاه بدوانى ، " منتخب التواريخ " ، جـ١ ، بتصحيح مولوي أحمد على صاحب ، طبعة كلكتا ١٨٩٨ م .

١١- البناكتي (ت٧٣٥هـ / ١٣٣٤ م) : أبو سليمان داود بن أبو الفضل محمد ، " روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المعروف بتاريخ البناكتي " ، طبعة المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولي ، القاهرة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م

١٢- جوزجانى (ت٦٩٨هـ / ١٣٠٠ م) : أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين "طبقات ناصري " جلد أول به تصحيح ومقابلة وتحشيه وتعليق عبد الحي حبيبي قندهاي، كابل سنة ١٣٤٣هـ .ش .

١٣- الجويني (ت٦٨٨هـ / ١٢٨٩ م) : علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد ، " تاريخ جهانكشاي " المعروف بتاريخ فاتح العالم " — في تاريخ جنكيز خان وأعقابه حتى كيوك خان وحروبهم مع الخوارزميين، ترجمة محمد التونجي، المجلد الأول، طبعة دار الملاح للطباعة والنشر ، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .

١٤- الحسني : الهند في العصر الإسلامي، المعروف بجنة المشرق ومطلع النور المشرق ، طبعة حيدر أباد الدكن بالهند ، سنة ١٩٧٢ م

١٥- خليل الله خليلي : سلطنت غزنويان، كابل ١٣٣٣هـ .ش .

١٦- خواندمير (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥ م) : غياث الدين بن همام الدين ، " حبيب السير في أخبار افراد البشر " ، جـ٤م٢ ، طبعة طهران ١٣٣٣هـ .ش .

١٧-زركوب الشيرازي (ت٧٨٩هـ / ١٣٨٩ م): أبو العباس معين الدين أحمد بن شهاب الدين، " شيراز نامه " به كوشش إسماعيل واعظ جوادي، انتشارات بنياد فرهنك إيران، سنة ١٢٣٠هـ .ش .

١٨- عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، ومراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة .

١٩- فرشته (ت ق ١١هـ / ١٦ م) : محمد قاسم هندوشاه، "تاريخ فرشته، المجلد الأول، طبعة بومباي ١٨٣١ م .

٢٠- قزويني (ت ٧٥٠هـ / ١٣٤٩ م) : حمدالله أبو بكر أحمد بن نصر المستوفي ، " تاريخ كزيده "، ترجمة محمود محروس قشطة ضمن رسالة الماجيستير بكلية الآداب عين شمس ١٩٦٨ م.

٢١- الكرديزي (ت ٤٤٣هـ / ١٠٥١ م) : أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك ، " زين الأخبار "، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .

٢٢- النسوى(ت ق ٧هـ / ١٣ م): محمد بن أحمد، " سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي "، نشره وترجمة حافظ حمدي، طبعة دار الفكر العربي ، سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٣ م .

٢٣- نظام الدين الهروي (ت في القرن ١١هـ / ١٨ م) : نظام الدين أحمد بخش، " طبقات أكبري "، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي – باسم المسلمون في الهند من الفتح العربي إلي الاستعمار البريطاني – جـ١، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٥ م .

٢٤-الهمذاني (ت٧١٨هـ / ١٣١٨م) : رشيد الدين فضل الله، " جامع التواريخ " ، مجلد٢ بسعي واهتمام أحمد اتش، طبعة أنقرة، سنة ١٩٦٠م .

ثالثاً: المراجع الأجنبية المترجمة والغير مترجمة:

٢٥- بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو الغولي، ترجمة من اللغة الروسية صلاح الدين عثمان، طبعة الكويت ، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٢٦- بوزورث : الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي – دراسة في التاريخ والأنساب ، ترجمة حسين علي اللبودي، مراجعة سليمان إبراهيم العسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية الطبعة الثانية ١٩٩٥ م .

٢٧-جوستاف لوبون : حضارات الهند ، ترجمة عادل زعيتر ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٤٩م .

٢٨-زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة قي تاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وآخرين، طبعة دار الرائد العربي ، بيروت-لبنان ، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٢٩-ستالين بول : طبقات سلاطين الإسلام، طبعة الدار العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٨٦م .

٣٠- المباركبوري (أبو المعالي أطهر) : العرب والهند في عهد الرسالة، ترجمة من اللغة الإنجليزية عبد العزيز عبد الجليل، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م .

31- Aziz Ahmed : An intellectual History of Islam in India , (Edimpurgh , U .S .A ,1969)

32- A.k. Jain : The City of Delhi, (New Delhi, 1994

33- Cambridge : History of India , VIII Turks and Afghans , (New Delhi, 1958

34- Husan Qureshi : The Administration of the Sultanate of Delhi (Delhi, 1944

35-Munshi : the Struggle for Empire, (Bombay,1957)

36-Nazim m : the life and the time of saltin Mahmod of Ghazn,eith of arc ward by the late sir Tomes Arnold (Cambridge, 1931)

37- OXFord : history of India, (oxford,1958) .